الدروس والعبر في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾

– دراسة موضوعية –

Lessons and Insights in the Almighty's Saying: "And what is that in your right hand, O Musa"
– An Objective Study –

الباحث

م. م. حامد محسن عبد

Researcher

T. A. Hamed Mohsen Abd

Hamedmohsen936@gmail.com

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

الملخص

يتناول هذا البحث تحليل آيات من سورة النساء، بعد أن تبيّن للباحث ما في علم التفسير من فائدة وأثر في تنمية الملكة العلمية لما يرتبط به من علوم متعددة كالنحو والبلاغة والحديث والفقه.

وتبرز أهمية الموضوع في كونه يعتمد على مختلف علوم القرآن.

وقد اتبع الباحث منهجًا تحليليًا استقرائيًا من خلال جمع الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ وترجيح الأقرب للصواب.

وانقسم البحث إلى ثلاثة مباحث: الإطار العام، التفسير الموضوعي، والدلالات الإيمانية، ثم الخاتمة والمصادر.

الكلمات المفتاحية: سورة – تفسير – فقة – نحو – بلاغة.

Abstract

This research examines the analysis of selected verses from Surah An-Nisa, after the researcher recognized the significant value of Qur'anic exegesis and its impact on developing scholarly capability, as it is connected to multiple sciences such as grammar, rhetoric, Hadith, and jurisprudence.

The importance of the topic lies in its reliance on various branches of Qur'anic sciences.
The researcher adopted an analytical and inductive methodology by gathering the different interpretations of the verse: "And what is that in your right hand, O Musa?" and selecting the opinion deemed closest to correctness.
The study is divided into three sections: the general framework, the thematic interpretation, and the faith-based indications of the verse, followed by the conclusion and the references.

Keyword: Surah – Tafsir – Fiqh – Grammar – Rhetoric.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

بعد أنْ تبيّن لي الفائدةُ العظيمة التي أحصل عليها من خلال هذا البحث، سيّما وهو يتعلّق بعلم التفسير وعلوم القرآن الذي يوجِب على من يسلُك طريقَه الإلمام بجميع العلوم من نحوٍ وبلاغة وحديثٍ وسيرة وفقه، فقد اخترتُ تحليل آيات من سورة النساء.

أهمية الموضوع:

علم التحليل القرآني هو من العلوم المهمة التي تثري ملَكَة الباحث؛ كونه يستمدّ أساسياته من جميع علوم القرآن، وهذا ما تبيّن لي من خلال هذا البحث .

منهج البحث:

اتبعتُ منهجاً تحليلياً استقرائياً تفصيلياً فقمتُ بجمع شتات الأقوال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ واخترتُ ما تبين لي هو الأقرب للصحيح.

خطة البحث:

اقتضى الموضوع أنْ يقسّم على ثلاثة مباحث، وضحتُ في المبحث الاول الاطار العام للدراسة، وفي المبحث الثاني تكلّمتُ عن التفسير الموضوعي للآية، وخصّصت المبحث الثالث لموضوع الدلالات الإيمانية لقوله تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾.

ثم الخاتمة وقد أدرجت فيها أهم نتائج البحث.

وأخيراً المصادر والمراجع التي استعنتُ بها لكتابة البحث.

الباحث

المبحث الاول

الإطار العام للدراسة

المطلب الأول: التعريف بسورة طه ومكانتها في القرآن

أولاً: اسم السورة.

هي (سورة طه)، وإنما سُمّيت بهذا الاسم لابتدائها بهذا النداء، وبهذين الحرفين سُمِّيت السورة، وقد جاءت بعض سور القرآن بمثل هذه التسمية، لما بدأت به من أحرف الهجاء؛ مثل: (يس)، و(ص)، وقيل معناها: يا رجلُ، فيكون منادى، وقيل: (طا) فِعلُ أمر وأصله بالهمز، ولكن أبدَل من الهمزة ألفًا، و(ها) ضمير الأرض، وفي الهاء من ﴿ طه ﴾ وجهان:

أحدهما: أنها بدلٌ من الهمزة كما أُبدِلت في (أرَقْتُ) فقيل (هرَقْتُ).

الثاني: أنه أبدل من الهمزة ألفًا، ثم حذفها للبناء، وألحقها هاء السكت.[١]

وتُسمَّى سورة (الكليم)؛ لأنّ قصة موسى عليه السلام قد بُسِطت في هذه السورة، فقد تناولت أحداثًا تتعلَّق بموسى عليه السلام من ميلاده إلى خروجه مهاجرًا إلى مدين هاربًا من بطش فرعون وملئه، ثم عودته إلى فرعون والمواجهة بينه وبين السحرة، وانتصاره عليهم، وخروجه ببني إسرائيل وإهلاك فرعون وجنده. [٢]

وتسميتُها بـــ(طه) لِمَا لهذين الحرفين من معنى النداء للنبي (ﷺ)، فقد جاء في تفسير الطبري أن (طه) بالنبطية: يا رجل، [٣] فالسورة بدأت بالنداء للنبي (ﷺ)، وفي ذلك تكريم له وتسلية. [٤]

وقيل: طه اسم من أسماء نبينا محمد (ﷺ) .

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري- أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله (٦١٦ هـ)، شركة القدس للتصدير والاستيراد، ط١/ ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م: ١٩١/٢.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م: ١٥٧/١.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) - أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: ٣١٠ هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م : ١٦/ ٣٠.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م: ١٦/ ٥١٩.

وقيل: إنها لغة يَمانية في (عكَّ). [١]

ثانياً: أهم ما تعرضه سورة طه.

سورة طه مكيَّة، وهي تبحث عن نفس الأهداف للسور المكية، وغرضها تركيز أصول الدين والتوحيد، والنبوة، والبعث والنشور.

وفي هذه السورة الكريمة تظهر شخصية الرسول (ﷺ) مع شدِّ أَزْرِه وتقويةِ روحه؛ حتى لا يتأثَّر بما يُلقَى إليه من الكيد والعناد، والاستهزاء والتكذيب، وكذلك الإرشاد إلى وظيفته الأساسية، وهي التبليغ والتذكير، والإنذار والتبشير، وليس عليه أن يجبر الناس على الإيمان.

وعرضت السورة لقَصصِ الأنبياء؛ تسليةً للرسول (ﷺ) وتطميناً لقلبه الشريف، فذكرت بالتفصيل قصة موسى وهارون مع فرعون الطاغية الجبار، ويكاد يكون معظم السورة في الحديث عنها، وبالأخص موقف مناجاة موسى مع ربه. [٢]

وموقف تكليفه بالرسالة، وموقف الجدال بين موسى وفرعون، وموقف المبارزة بينه وبين السحرة، وتتجلَّى في ثنايا تلك القصة رعايةُ الله لموسى نبيِّه وكليمه، وإهلاك الله لأعدائه الكفرة.

وعرضَتِ السورةُ لقصَّة آدم بشكل سريع خاطف، برزت فيه رحمة الله لآدم بعد الخطيئة، وهدايته لذريته بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين، ثم ترك الخيار لهم لاختيار طريق الخير أو الشر.

وعرضت السورة ليوم الحشر الأكبر، حيث يتم الحساب العادل ويعود الطائعون إلى الجنة، ويذهب العصاة إلى النار؛ تصديقاً لوعد الله – الذي لا يُخلَف – بإثابة المؤمنين، وعقاب المجرمين. [٣]

ثالثاً: سبب نزولها.

كان النبي (ﷺ) إذا صلَّى قام على رِجْلٍ ورفع الأخرى، فأنزل: ﴿ طه ﴾؛ يعني: طأِ الأرضَ يا محمد،[٤] وذلك لَمَّا نزل الوحيُ على رسول الله (ﷺ) بمكة اجتَهَد في العبادة حتى كان يراوح بين قدمَيْه في

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) – أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت:٨٧٥ هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت: ٣/ ٢٣.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني– محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م: ٢/ ٢٢٩.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) الجواهر الحسان: ٣/ ٢٣.

الصلاة لطول قيامه، وكان يُصلِّي الليل كله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمره أن يُخفِّف على نفسه. [١]. وقال البعض إن سبب نزول الآية أن قريشًا لَمَّا نظَرت إلى عيش النبي محمد (ﷺ) وكثرة عبادته، قالت: إن محمدًا مع ربه في شقاءٍ، فنزلت الآية رادَّةً عليهم. [٢]

المطلب الثاني: السياق العام لقصة موسى عليه السلام

قسّمت قصة سيدنا موسى في القرآن على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: منذ ولادته ولغاية خروجه من مصر وقد عاشها في بيت الفرعون، وإليه أشار فرعون بقوله: ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ [٣].

المرحلة الثانية: حياته (عليه السلام) في مدين وإليه أشار (ﷻ) بقوله: ﴿ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾ [٤].

المرحلة الثالثة: خروجه (عليه السلام) وقومه من مصر الى التيه، وإليه أشار (ﷻ) بقوله ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩ الى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [٥][٦].

---

(١) تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل، في معاني التنزيل)، للخازن- علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي (ت: ٧٢٥هـ)، ضبطه وصححه عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤م /١٤٢٥هـ: ٣/ ٢٠٠.

(٢)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية- أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م: ٤/ ٣٧، والجواهر الحسان: ٤/ ٤٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية/ ١٨.

(٤) سورة طه، من الآية/ ٤٠.

(٥) سورة البقرة، الآيات/ ٤٩ – ٦١.

(٦) ينظر: المعجزة الكبرى للقرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة(ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة: ص/ ٣٤.

المطلب الثالث: ارتباط الآية بما قبلها وما بعدها

الحقّ سبحانه وتعالى لما أطلعه على تلك الأنوار المتصاعدة من الشجرة إلى السماء وأسمعه تسبيح الملائكة ثم أسمعه كلام نفسه، ثم إنه مزج اللطف بالقهر فلاطفه أولا بقوله : ((وأنا اخترتك فاستمع.. فتردى)) ثم قهره بإيراد التكاليف الشاقة عليه وإلزامه علم المبدأ والوسط والمعاد ثم ختم كل ذلك بالتهديد العظيم، تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ ليعرف موسى (عليه السلام) أن يمينه هي التي فيها العصا، أو لأنه لما تكلم معه أولا بكلام الإلهية وتحير موسى من الدهشة تكلم معه بكلام البشر إزالة لتلك الدهشة والحيرة، والنكتة فيه أنه لما غلبت الدهشة على موسى في الحضرة أراد رب العزة إزالتها فسأله عن العصا وهو لا يقع الغلط فيه . كذلك المؤمن إذا مات ووصل إلى حضرة ذي الجلال فالدهشة تغلبه، والحياء يمنعه عن الكلام فيسألونه عن الأمر الذي لم يغلط فيه في الدنيا وهو التوحيد، فإذا ذكره زالت الدهشة والوحشة عنه . (١)

وقال البقاعي:" ولما كان المقام مرشداً إلى أن يقال: ما جوابك يا موسى عما سمعت؟ وكان تعالى عالماً بأنه يبادر إلى الجواب بالطاعة في كل ما تقدم، طوى هذا المقال مومئاً إليه بأن عطف عليه قوله: {وما تلك} أي العالية المقدار قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ مريداً – بعد تأنيسه بسؤاله عما هو أعلم به منه – إقامة البينة لديه بما يكون دليلاً على الساعة من سرعة القدرة على إيجاد ما لم يكن، بقلب العصا حية بعد تحقق أنها عصاه يقرب النظر إليها عند السؤال عنها ليزداد بذلك ثباتاً ويثبت من يرسل إليهم"(٢)

أما ارتباط الآية بما بعدها.. فالحقّ سبحانه وتعالى لما عرف موسى كمال الإلهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية، فسأله عن منافع العصا فذكر بعضها فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أعظم مما ذكر، تنبيها

---

(١)مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (تفسير الرازي) – فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦ هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م: ٢٢/ ٢٤.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي– إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ط ٢، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م: ١٢/٢٧٩– ٢٨٠.

على أن العقول قاصرة عن معرفة صفات النبي الحاضر فلولا التوفيق والعصمة كيف يمكنهم الوصول إلى معرفة أجل الأشياء وأعظمها، ففائدة هذا السؤال أن يقرر عنده أنه خشبة حتى إذا قلبها ثعبانا لا يخافها .[١]

المبحث الثاني

التفسير الموضوعي للآية

المطلب الأول: أقوال المفسرين في معنى الآية

للمفسرين في تفسير هذه الآية آراء مختلفة تبعاً لاختلاف مناهجهم.

قال السمرقندي: "كان عالما بما في يده، ولكن الحكمة في سؤاله لإزالة الوحشة عن موسى، لأن موسى كان خائفا مستوحشا كرجل دخل على ملك وهو خائف، فسأله عن شيء، فتزول بعض الوحشة عنه بذلك، ويستأنس بسؤاله" [٢]

وقال القشيري: " كرّر عليه السؤال فى غير آية عن عصاه لمّا كان المعلوم له سبحانه فيها من إظهاره فيها عظيم المعجزة.

ويقال إنما قال ذلك لأنه صحبته هيبة المقام عند فجأة سماع الخطاب فليسكن بعض ما به من بواده الإجلال.. ردّه إلى سماع حديث العصا، وأراه ما فيها من الآيات.

ويقال لو تركه على ما كان عليه من غلبات الهيبة لعلّه كان لا يعى ولا يطيق ذلك..

فقال له: وما تلك بيمينك يا موسى؟" [٣]

وقال أبن عطية: " وروي في بعض الآثار أنّ الله تعالى عتب على موسى إضافة العصا إلى نفسه في ذلك الموطن فقيل له ﴿أَلْقِها﴾ [٤] ليرى منها العجب فيعلم أنه لا ملك له عليها ولا تضاف إليه" [٥]

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢٢/ ٢٥

(٢) بحر العلوم (تفسير السمرقندي) – أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت: ٢/ ٣٩٢.

(٣) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥ هـ)،تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٣: ٢/ ٤٥٠.

(٤) سورة طه، من الآية/ ١٩.

(٥) المحرر الوجيز: ٤/ ٤١.

وقال النيسابوري: " سبحانه لما أشار إلى العصا واليد بقوله وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى حصل في كل منهما برهان باهر ومعجز ماهر فصار أحدهما- وهو الجماد- حيوانا والآخر- وهو الكثيف- نورانيا لطيفا. ثم إنه تعالى ينظر في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى قلب العبد فأي عجب أن ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا. ومنها أن العصا صارت بين يمين موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذي هو بين أصبعين من أصابع الرحمن حيا! ومنها أن يصير بمدد نظر الرب في كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الأمارة بالسوء" [١].

المطلب الثاني: الحكمة من السؤال الإلهي رغم العلم بالمضمون

الاستفهام الوارد في الآية هو للتقرير والتثبيت لموسى، وإزالة دهشته من لقاء الله، فالله تعالى عالم بكل شيء، وسؤاله لموسى هو لتقرير الأمر في نفس موسى، ليؤمن ويطمئن قلبه. عندما يجيب موسى بأنها عصاه، يكتشف أن العصا هي نفسها تحولت إلى حية، مما يزيد يقينه بقدرة الله وللتنبيه على أن العصا ستتحول لمعجزة عظيمة. كما يهدف السؤال لإيقاظ تفكير موسى وتنبيهه لقدرة الله التي ستتجلى في تحويل جماد إلى كائن حي، قال الزمخشري: " لما قال تعالى ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾[٢] ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ وقد أظهر له آيتها، فيكون ذلك تنبيها له وتأنيسا حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت ظهور آيتها، وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت" [٣] .

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى ليعرف موسى أن يمينه هي التي فيها العصا، وأيضا إنه لما تكلم معه بالكلم الإلهية وقرب موسى أن يدهش تكلم معه بكلام البشر إزالة لتلك الدهشة والحيرة لا لأنّ المسئول عنه مما يقع فيه الغلط كما أن السائل لا يجوز عليه الغلط نظيره حال المؤمن في القبر يغلبه الوجل والخجل والحياء فيسأل عن أمر لا يشك فيه في الدنيا وهو التوحيد دفعا للإيحاش وجلبا للاستئناس. [٤]

---

(١)غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري) – نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت:٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م: ٤/ ٥٢٥.

(٢) سورة طه، من الآية/ ٦٩.

(٣) الكشاف، للزمخشري- أبي القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ) مكتبة الهلال، بيروت، ط١ ،١٤٠٣ هـ /١٩٨٣م: ٣/ ٧٤.

(٤) غرائب القرآن: ٤/ ٥٢٤.

وقال صاحب بيان المعاني: " ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ وهذا سؤال لتقرير الحكم منه أن يوقفه أولا على ماهية ما بيده وينبهه على ما يريد بها وما سيظهره له بها من العجائب، حتى إذا صيّرها لا يهوله أمرها، ويوطن نفسه عليها، وليعلم أنها معجزة له وبرهان على نبي «قالَ هِيَ عَصايَ» أضافها لنفسه لأنها بيده" (١).

وقال الرازي: "إنّ من أراد أنْ يظهر من الشيء الحقير شيئا شريفا فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم : هذا ما هو ؟ فيقولون هذا هو الشيء الفلاني، ثم إنه بعد إظهار صفته الفائقة فيه يقول لهم خذا منه كذا وكذا . فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة كانقلابها حية، وكضربه البحر حتى انفلق، وفي الحجر حتى انفجر منه الماء، عرضه أولا على موسى فكأنه قال له : يا موسى هل تعرف حقيقة هذا الذي بيدك وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع، ثم إنه قلبه ثعبانا عظيما، فيكون بهذا الطريق قد نبه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته من حيث إنه أظهر هذه الآيات العظيمة من أهون الأشياء عنده، فهذا هو الفائدة من قوله : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ " (٢).

وقال الرازي في موطن آخر: أنه تعالى لما عرف موسى كمال الإلهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية، فسأله عن منافع العصا فذكر بعضها فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أعظم مما ذكر، تنبيها على أن العقول قاصرة عن معرفة صفات النبي الحاضر فلولا التوفيق والعصمة كيف يمكنهم الوصول إلى معرفة أجل الأشياء وأعظمها . (٣)

ويمكن أن تكون الإشارة بتلك إلى العصا لكن لا بداعي الاطلاع على اسمها وحقيقتها حتى يلغو الاستفهام بل بداعي أن يذكر ما لها من الأوصاف والخواص ويؤيده ما في كلام موسى عليه السلام من الاطناب بذكر نعوت العصا وخواصها فإنه لما سمع السؤال عما في يمينه وهي عصا لا يرتاب فيها فهم أن المطلوب ذكر أوصافها فأخذ يذكر اسمها ثم أوصافها وخواصها، وهذه طريق معمولة فيما إذا سئل عن أمر واضح لا يتوقع الجهل به ومن هذا الباب بوجه قوله تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا

(١) بيان المعاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي ، دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٥ م: ٢/ ١٩٤.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٢/ ٢٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢/ ٢٣.

ٱلۡقَارِعَةُ * يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ * مَا ٱلۡحَآقَّةُ * وَمَآ أَدۡرَاكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾[٢] [٣] وقد يقال إنّ فائدة هذا السؤال أن يقرر عنده أنه خشبة حتى إذا قلبها ثعبانا لا يخافها. [٤]

المطلب الثالث: أثر السورة في موسى عليه السلام

لعبت سورة طه دورًا في تعميق جوانب شخصية موسى (عليه السلام)، حيث أبرزت تدرجه في مواجهة التحديات، بدءًا من دعائه بتفريج صدره وتيسير أمره وفك عقدة لسانه، ومرورًا بمواجهة خوفه من فرعون وثقة الله فيه بأنه سيقوي موسى وأن لا تخف. كما أظهرت السورة صبره وتحمله للشدائد، وربطت بين دعوته إلى الله وبين صبره على أذى قومه وتحديات فرعون.

أما الجوانب التي أبرزتها سورة طه في شخصية موسى:

أولاً: الدعاء والتضرع: قبل المواجهة، دعا موسى الله بأن يشرح صدره ويسر أمره ويحل عقدة لسانه ليتمكن من التحدث والفقه بلغة واضحة.

ثانياً: الاستجابة والثقة بالله: عندما خاف موسى، طمأنه الله بقوله: ﴿ لَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ ﴾[٥] هذه الآيات تظهر ثقته بالله وثقة الله فيه، مما سمح له بالتغلب على الخوف، كما يظهر تقديم هارون على موسى؛ لأنّ موسى هو الذي خاف.

ثالثاً: الصبر والتحمل: تبرز السورة صبر موسى وتحمله للأذى، حيث ربطت بين صبره وصبر الأنبياء الآخرين، مستشهدة بقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ ﴾. [٦]

---

(١) سورة القارعة، الآيات/ ١- ٤.

(٢) سورة الحاقة، الآيات/ ١- ٣.

(٣)الميزان في تفسير القران العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢ هـ) منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة: ١١/ ٢٢٢.

(٤) سورة الأحقاف، من الآية/ ٣٥.

(٥) سورة طه، من الآية/ ٦٨.

(٦) ينظر: أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية، جامع البيان: ١٨/ ٢٩٢-٢٩٣، وبحر العلوم : ٢/ ٣٩٢، ومفاتيح الغيب: ٢٢/ ٢٣-٢٤، و الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي- أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ: ٥/ ٥٥٥.

الجهاد والصلابة: تُظهر السورة جهاده وصبره أمام عناد فرعون، وتؤكد عزيمته رغم التحديات التي واجهها. [١]

المبحث الثالث

الدلالات الايمانية

المطلب الاول: أثر الخطاب الالهي في إعداد موسى عليه السلام

أن من أراد أن يظهر من الشيء الحقير شيئا شريفا فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم : هذا ما هو ؟ فيقولون هذا هو الشيء الفلاني، ثم إنه بعد إظهار صفته الفائقة فيه يقول لهم خذا منه كذا وكذا. فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة كانقلابها حية، وكضربه البحر حتى انفلق، وفي الحجر حتى انفجر منه الماء، عرضه أولا على موسى فكأنه قال له : يا موسى هل تعرف حقيقة هذا الذي بيدك وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع، ثم إنه قلبه ثعبانا عظيما، فيكون بهذا الطريق قد نبه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته من حيث إنه أظهر هذه الآيات العظيمة من أهون الأشياء عنده، فهذا هو الفائدة من قوله : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ . [٢]

أَنه سمع حِينَئِذٍ شَيْئا لم يسمع السامعون بِمثْلِهِ عظما فَلَمَّا بلغ مُوسَى الكرب وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الهول نُودي من الشَّجَرَة فَقيل: يَا مُوسَى فَأجَاب سَرِيعا وَمَا يدْرِي من دَعَاهُ وَمَا كَانَ سرعَة إجَابَته إِلَّا استئناساً بالإنس فَقَالَ لبيْك مرَارًا إِنِّي لأسْمع صَوْتك وأحس حسك وَلَا أرى مَكَانك فَأَيْنَ أَنْت قَالَ: أَنا فَوْقك ومعك وخلفك وَأقرب إِلَيْك من نَفسك، فَلَمَّا سمع هَذَا مُوسَى علم أَنه لَا يَنْبَغِي هَذَا إِلَّا لرَبه فأيقن بِهِ فَقَالَ: كَذَلِك أَنْت يَا إِلهِي فكلامك اسْمَع أم رَسُولك قَالَ: بل أَنا الَّذِي أُكَلِّمك فادن مني فَجمع مُوسَى يَدَيْهِ فِي الْعَصَا ثمَّ تحامل حَتَّى اسْتَقل قَائِما فَرعدَت فرائصه حَتَّى اخْتلفت واضطربت رِجْلَاهُ وَانْقطع لِسَانه وانكسر قلبه وَلم يبْق مِنْهُ عظم يحمل آخر فَهُوَ بِمَنْزِلَة الْمَيِّت إِلَّا أَن روح الْحَيَاة تجْرِي فِيهِ ثمَّ زحف على ذَلِك وَهُوَ مرعوب حَتَّى وقف قَرِيبا من الشَّجَرَة الَّتِي نُودي مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ الرب تبَارك وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ قَالَ: هِيَ عصاي.[٣]

---

(١) ينظر: أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية، جامع البيان: ١٨/ ٢٩٢-٢٩٣، وبحر العلوم : ٢/ ٣٩٢، ومفاتيح الغيب: ٢٢/ ٢٣-٢٤، و الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي- أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ: ٥/ ٥٥٥.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٢ / ٢٤.

(٣) الدر المنثور: ٥/ ٥٥٥.

وقال النيسابوري: " لما عرف موسى كمال الإلهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر ما ذكر، فعرّفه الله تعالى أن فيها منافع أجل مما ذكر تنبيها على أن عقول البشر قاصرة عن خفيات الأمور لولا التوفيق والإرشاد" (١)

المطلب الثاني: دلالات الخطاب الالهي في الحوار مع موسى عليه السلام

يتبيّن من خلال الآية إنّ قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾ قيل هذا الخطاب ضمن الله تعالى لموسى وحياً ؛ لأنّه قال ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾(٢) ولا بد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه، فأراه في العصا وفي نفسه ما أراه لذلك. ويجوز أن يكون ما أراه في الشجرة آية كافية له في نفسه، ثم تكون اليد والعصا زيادة توكيد، وبرهانا يلقى به قومه. واختلف في" ما" في قوله: ﴿ وَمَا تِلْكَ ﴾ فقال الزجاج والفراء: هي اسم ناقص وصلت ب"– يمينك" أي ما التي بيمينك؟ وقال الفراء أيضا:" تلك" بمعنى هذه، ولو قال: ما ذلك لجاز، أي ما ذلك الشيء: ومقصود السؤال تقرير الأمر حتى يقول موسى: هي عصاي، لتثبت الحجة عليه بعد ما اعترف، وإلا فقد علم الله ما هي في الأزل. (٣)

يقول الرازي: اعلم أن قوله : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾ لفظتان، فقوله : ﴿ وَمَا تِلْكَ ﴾ إشارة إلى العصا، وقوله : ﴿ بِيَمِينِكَ ﴾ إشارة إلى اليد، وفي هذا نكت:

إحداها : أنه سبحانه لما أشار إليهما جعل كل واحدة منهما معجزا قاهرا وبرهانا باهرا، ونقله من حد الجمادية إلى مقام الكرامة، فإذا صار الجماد بالنظر الواحد حيوانا، وصار الجسم الكثيف نورانيا لطيفا، ثم إنه تعالى ينظر كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى قلب العبد، فأي عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان إلى سعادة الطاعة ونور المعرفة .

وثانيها : أن بالنظر الواحد صار الجماد ثعبانا يبتلع سحر السحرة، فأي عجب لو صار القلب بمدد النظر الإلهي بحيث يبتلع سحر النفس الأمارة بالسوء .

---

(١) غرائب القرآن: ٤/ ٥٢٤.

(٢) سورة طه، من الآية/ ١٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م: ١١/ ١٨٦.

وثالثها : كانت العصا في يمين موسى عليه السلام فبسبب بركة يمينه انقلبت ثعبانا وبرهانا، وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن فإذا حصلت ليمين موسى عليه السلام هذه الكرامة والبركة، فأي عجب لو انقلب قلب المؤمن بسبب إصبعي الرحمن من ظلمة المعصية إلى نور العبودية . (١)

المطلب الثالث: الاسلوب الاستفهامي.

يستفاد من هذا الكلام أنّ الاطناب هو في زيادة المعاني لا في زيادة اللفظ، فإنّ اللفظ إذا زاد لا يكون إلا كلام من الإطناب البليغ المستحسن إلا إذا زاد معه المعاني، وذلك يكون بتفصيل القول لا بإجماله وهو واضح في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخرَىٰ *﴾ (٢) فإننا نرى هنا إطناباً حلواً تتلذذ به الالسنة والأسماع، وكان الايجاز أن يقول ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ وبقية المعاني تفهم ولكن معية موسى لربه ورغبته في أن يطيل المحادثة صرّح بما ينفهم ضمناً وما يعلمه الله تعالى من غير بيان. (٣)

(١) مفاتيح الغيب: ٢٢/ ٢٤.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٧-١٨.

(٣) ينظر: المعجزة الكبرى للقرآن: ص/ ٢٢٣.

الخاتمة

كان موضوع بحثي حول تحليل سورة طه، وقد تبيّن لي ما يأتي:

١- إنّ التفسير الموضوعي من الأهمية العقدية بمكان؛ حيث ينبغي أن تتوجَّه إليه الجهود، ويحظى بالعناية والاهتمام، وينبغي أخذ الدروس والعبر من هذه الدراسة.

٢-تعرّفتُ من خلال هذا البحث على معرفة معنى اسم (طه)، وأنها ذُكِرت فيها قَصصُ بعض الأنبياء، وأسباب نزولها، وهي من الحروف المقطعة التي نزلت للتنبيه والتحدي بإعجاز القرآن البياني.

٣-قد يختلف المفسّرون في تفسير الآية، فيدلو كلٌ بدلوه، بناءً على ما يراه من خلال أصوله.

٤-قد يختلف النحويون والقراء في إعراب الكلمة وقراءتها الى أكثر من رأي.

٥-اختلاف كتب التفسير كلٌ حسب اختصاصه فمنهم من يركز على الأمور اللغوية كالبحر المحيط لأبي حيان، ومنهم من يركز على الفقه كالجامع لأحكام القرآن، ومنهم من يركز على الأمور البلاغية كالكشاف ..الخ

٦- أنّ هناك تناسباً بين كلّ آيةٍ وما قبلها وما بعدها فالقرآن مترابط الآيات.

وفي النهاية لا أملك إلا أن أقول: إنني قد عرضتُ رأيي، وأدليتُ بدَلْوِي في هذا الموضوع، لعلي أكون قد وُفِّقت في كتابته، وأخيرًا ما أنا إلا بشر قد أُخطِئ وقد أصيب، فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي، وإن كنت قد أصبت فهذا كل ما أرجوه من الله ﷻ.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٢- بحر العلوم (تفسير السمرقندي) - أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- بيان المعاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي ، دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٥ م.

٤- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري- أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله (٦١٦ هـ)، شركة القدس للتصدير والاستيراد، ط١/ ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.

٥- تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل، في معاني التنزيل)، للخازن- علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي (ت: ٧٢٥هـ)، ضبطه وصححه عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤م /١٤٢٥هـ.

٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م.

٧- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) - أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت:٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م.

٨- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م.

٩- الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي- أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

١٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري) - نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠ هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦ م.

١١- الكشاف، للزمخشري- أبي القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) مكتبة الهلال، بيروت، ط١،١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

١٢- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٣.

١٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية- أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م.

١٤- المعجزة الكبرى للقرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة(ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٥- مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (تفسير الرازي) - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م.

١٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ط ٢، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م.

References

1- References Al-Itqan fi ‘Ulum al-Qur’an, by Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Egyptian General Book Organization, 1st ed., 1394 AH / 1974 AD.

2- Bahr al-‘Ulum (Tafsir al-Samarkandi), by Abu al-Layth Nasr ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Ibrahim al-Samarkandi (d. 373 AH), Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut.

3- Bayan al-Ma‘ani, by ‘Abd al-Qadir ibn Mulla Hawaysh al-Sayyid Mahmoud al-Ghazi al-‘Ani (d. 1398 AH), Al-Taraqqi Press, Damascus, 1st ed., 1382 AH / 1965 AD.

4- Al-Tibyan fi I‘rab al-Qur’an, by Abu al-Baqa’ ‘Abdullah ibn al-Husayn ibn ‘Abdullah al-‘Akbari (616 AH), Al-Quds Export & Import Company, 1st ed., 1428 AH / 2008 AD.

5- Lubab al-Ta’wil fi Ma‘ani al-Tanzil (Tafsir al-Khazin), by ‘Ala’ al-Din ‘Ali ibn Muhammad al-Baghdadi (d. 725 AH), edited and verified by ‘Abd al-

Salam Muhammad ‘Ali Shahin, Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1425 AH / 2004 AD.

6- Al-Tafsir al-Munir, by Dr. Wahbah al-Zuhayli, Dar al-Fikr, Damascus, 2nd ed., 2003 AD.

7- Jami‘ al-Bayan fi Ta’wil al-Qur’an (Tafsir al-Tabari), by Abu Ja‘far Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH), edited by Ahmad Muhammad Shakir, Al-Risalah Foundation, Beirut, 1420 AH / 2000 AD.

8- Al-Jami‘ li-Ahkam al-Qur’an (Tafsir al-Qurtubi), by Abu ‘Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr (d. 671 AH), edited by Ahmed ‘Abd al-Halim al-Barduni, Dar al-Sha‘b, Cairo, 2nd ed., 1372 AH / 1952 AD.

9- Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bi’l-Ma’thur, by Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), Dar al-Fikr, Beirut, 1414 AH.

10- Ghara’ib al-Qur’an wa Ragha’ib al-Furqan (Tafsir al-Naysaburi), by Nizam al-Din al-Hasan ibn Muhammad al-Qummi al-Naysaburi (d. 850 AH), edited by Shaykh Zakariya ‘Umayrat, Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1416 AH / 1996 AD.

11- Al-Kashshaf, by Abu al-Qasim Mahmud ibn ‘Umar al-Zamakhshari (d. 538 AH), Al-Hilal Library, Beirut, 1st ed., 1403 AH / 1983 AD.

12- Lata’if al-Isharat (Tafsir al-Qushayri), by ‘Abd al-Karim ibn Hawazin ibn ‘Abd al-Malik al-Qushayri (d. 465 AH), edited by Ibrahim al-Basyuni, Egyptian General Book Organization, Cairo, 3rd ed.

13- Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-‘Aziz, by Ibn ‘Atiyyah al-Andalusi (d. 542 AH), edited by ‘Abd al-Salam ‘Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1422 AH / 2002 AD.

14- Al-Mu‘jizah al-Kubra li’l-Qur’an, by Muhammad ibn Ahmad ibn Mustafa (Abu Zahrah) (d. 1394 AH), Dar al-Fikr al-‘Arabi, Cairo.

15- Mafatih al-Ghayb (Tafsir al-Kabir), by Fakhr al-Din al-Razi (d. 606 AH), introduced by Shaykh Khalil al-Mays, Dar al-Fikr, Beirut, 1415 AH / 1995 AD.

16- Nuzm al-Durar fi Tanāsib al-Ayat wa'l-Suwar, by al-Biqā'i – Ibrahim ibn 'Umar ibn Hasan al-Ribat ibn 'Ali ibn Abi Bakr (d. 885 AH), Dar al-Kitab al-Islami, Cairo, 2nd ed., 1413 AH / 1993 AD.